# الفصل 5
# مزارع الإنتاج الحيواني: مزارع البؤس

إن السؤال المطروح هو ليس: «هل بإمكانها أن تفكر؟» ولا: «هل بإمكانها أن تتكلم؟» ولكنه بالأحرى: «هل بإمكانها أن تتعذب؟»

ـ جيريمي بنثام

عندما كنت طفلة وذهبت للإقامة في مزرعة جدتي في مدينة كنت، كان الأمر مثيراً لأنه كانت هناك على الدوام حيوانات عديدة مختلفة في الحقول وفناء المزرعة. أبقار ترعى أو مستلقية تمضغ ما اجترته. وعربتان أو ثلاث من العربات التي تجرها الخيول متوقفة تحت ظل شجرة ـ حيث إنها كانت لا تزال تستعمل في المزرعة آنذاك رغم أن معظم مهامها أصبحت تتولاه الجرارات. كانت هناك حيوانات أخرى وبعضها يرضع داخل زرائب رحبة وأخرى تجول في الحقول، والدجاج والديكة تنبش الأرض وتقرق وتطلق أصواتاً وتئن في فناء المزرعة. أما الفراخ، فكرات صفراء من الزغب تركض يائسة وتنقر الأرض حيث تنادي الأم. والبط عند البحيرة مع سرب صغير من الإوز ـ والذي كنت أخاف منه إلى حد كبير نوعاً ما.

احتفظ أحد المزارعين بأنواع مختلفة من الحيوانات لأنه عرف بعض الشيء أن هذا الاختلاف ـ مثل البقر، والطيور ـ تفاعل معاً وفقاً لنظام رائع مما ساعد على ازدهار مزرعته. وكان قطيع البقر الذي يملكه يرعى في مرعى مليء بالحشائش النضرة، والأعشاب والبرسيم بكل ماتحتويه من مادة البيتاكاروتين الغنية والمواد الغذائية. وبعد عدة شهور نقلهم المزارع إلى مرعى آخر وأدخل بعض الحيوانات الأخرى إلى الحقل الشاغر والتي بإمكانها أن تقلب التربة وتعثر على جميع أصناف الجذور والحشرات المغذية.

إن الحقل الذي استضاف بعض هذه الحيوانات يمكنه أن يهيئ أرضاً ممتازة للصيد بالنسبة لسرب من الدواجن. فالطيور تلتقط الديدان وغيرها من الحشرات الموجودة في التربة المقلوبة، وتقوم في الوقت نفسه بإفراغ فضلاتها التي تحتوي على نسبة عالية من مادة النترات، على العشب، وهكذا تضمن أن يكون وافراً وصحياً بالنسبة للقطيع التالي من البقر.

عمل النظام القديم للزراعة على تقليد الطبيعة بإحكام. وخلال السنوات التي قضيتها في سهول سيرينغيتي في تنزانيا، راقبت القوارض المهاجرة التي تعتاش على العشب مثل الوحوش البرية، والغزلان وهي تتحرك عبر الأراضي العشبية وتغادرها بعدما جعلتها خصبة بفعل مفرزاتها وبذلك تعود بالفائدة على الحيوانات الأخرى، وعلى عدد لا يحصى من أنواع الطيور. طبعاً، إن النظام البيئي لسهول سيرينغيتي، مثله مثل غيره من الأنظمة البيئية الطبيعية؛ بل هو أكثر ثراء وتنوعاً من أي مزرعة أخرى. والسبب الأول لذلك هو أنها تفتخر بمجموعتها الكاملة من الحيوانات اللواحم التي تخضع لمراقبة الحيوانات التي يمكن افتراسها. فمعظم الفلاحين يشنون حرباً لا هوادة فيها على الحيوانات المفترسة مثل الثعالب، وابن آوى، والذئاب، والطيور الجارحة وهذا يعني أن الفريسة الطبيعية للحيوانات الضارية تتزايد بشكل مأساوي. فالأرانب، والغزلان، وجميع أشكال القوارض، والكثير من أنواع الطيور تكون مجرد سعيدة أكثر مما ينبغي بإضافة منتج جرت زراعته في المزرعة إلى غذائها، ولذا يتوجب على المزارعين أن يقلصوا العدد بأنفسهم. لقد أضاف معظم هذا الصيد ببساطة إلى المخزون الغذائي للسكان المحليين الذين استمتعوا بأكل فطيرة الأرنب ولحم الغزال.

## ما هو مصير الرعاة الرحل في العالم؟

يعتمد الرعاة الرحل في المناطق الريفية مثل الماساي في جنوب إفريقيا كلياً على الأبقار (أو الماعز، أو الثيران، أو غزلان الرنة، أو الجمال) من أجل البقاء.

وقد تعرفنا أنا وزوجي الراحل هوغو، على بعض الرعاة من قبائل الماساي عندما كنا نعمل في نيكورونغورو وفي سهول سيرينغيتي. فهم لديهم حب واحترام عميقان للماشية ويأكلون لحومها فقط في مناسبات خاصة جداً. ولكن وبالإضافة إلى ذلك فإنهم يستفيدون من دماء الأبقار ويحصلون عليها بإدخال طرف الرأس المدبب لسهم حاد إلى الوريد الرئيسي ويجعلون الحيوان ينزف ـ إذا جرت العملية بالشكل الصحيح، فإن البقرة تبدو وكأنها تشعر بانزعاج بسيط.

إن أيام رعاة الماشية الرحل أصبحت معدودة للأسف. فهم يجبرون تدريجياً على التأقلم مع أسلوب العيش المستقر، أحياناً، تنفيذاً لقرارات حكومية، وغالباً لأن السهول الواسعة التي كانت تعتمد عليها طريقة حياتهم آخذة في الانكماش، كما تتراجع الأرض أمام تكاثر عدد السكان كالفطر ونتيجة للقحط الشديد، والرعي المفرط في حين يزداد عدد القطيع بصورة يصبح فيها كبيراً جداً نسبة إلى المساحة المتبقية من موطن بيئته، ونتيجة لحت التربة. وهذا ما يصح بالنسبة لإفريقيا، ومنغوليا، وأفغانستان. والأمر ينطبق كذلك على هؤلاء الذين يرعون الماعز، أو الثيران أو غزلان الرنة وكذلك الماشية. يحاول الآلاف من رعاة المناطق الريفية الذين كانوا يجولون ذات مرة في البلاد كرجال ونساء أحرار، يحاولون الآن، وغالباً ما يفشلون، إيجاد عمل في مدن غريبة، ويحاولون التكيف مع أسلوب حياة ليسوا مؤهلين لها ولا تجذبهم. ومثل سكان أميركا الأصليين، وسكان أستراليا القدامى البدائيين الذين يفقدون تحكمهم في حياتهم في بعض الحالات، فإنهم يلجأون إلى احتساء المشروبات الكحولية ويتحولون إلى متسولين. فما مصير الثيران، والماعز، والجمال، والماشية؟.

غير أنني اكتشفت فجأة، في عام 1970 أن كل شيء في العالم الزراعي قد تغير. فقد أعطاني أحدهم كتاباً للفيلسوف الأسترالي بيتر سينغر. وكنت قد قرأت كتاب «تحرير الحيوان» عندما سمعت للمرة الأولى عن أهوال «مزارع الإنتاج الحيواني» والطريقة الواسعة النطاق والمكثفة لتربية المزيد والمزيد من الحيوانات من أجل تلبية الطلب المتزايد من المستهلك على المزيد والمزيد من اللحوم وبأسعار أرخص وأرخص.

ومنذ ذلك الوقت عرفت أكثر بكثير عن معاناة البلايين من حيوانات المزارع حول العالم، ومن الواضح أن أصل كل هذا العذاب يعود إلى حقيقة كون حيوانات المزارع هذه تعامل كما لو أنها مجرد أشياء. غير أنها كائنات حية قادرة على أن تشعر بالألم والخوف، وتعرف شعور الرضا والفرح واليأس، وتستحق بالتأكيد أن يكون لها الحق في الحياة ضمن ظروف تسمح لها بالتعبير عن أكبر قدر ممكن من السلوك الطبيعي. فالكثير من الحيوانات الأليفة يجب أن تكون قادرة على أن تحفر في الأرض بينما تلعب صغارها وتطارد بعضها وتصدر أصواتاً تعبر عن حماستها. والأبقار بحاجة إلى أن ترعى على العشب الأخضر فيما تقوم العجول بالوثب بسعادة تحت أشعة الشمس. والدواجن بجميع أصنافها يجب أن تكون قادرة على أن تخربش وتنقر الأرض وأن تفتح جناحيها. وكل حيوانات المزارع تستاهل أن تمتلك سريراً من القش.

إن النموذج الصناعي لتربية الحيوانات في المعامل لا يرى ببساطة في اعتبار الحيوانات كائنات ذات إحساس أمراً مجدياً أو مربحاً. وهي تعامل بدلاً من ذلك وكأنها مجرد آلات تحول العلف إلى لحوم أو حليب أو بيض. وكأن ليس لديها مشاعر أخرى أو حقوق أكثر مما لدى آلة بيع السلع.

## محنة الدواجن

تتم تربية الكثير من دواجننا في «المداجن»، والتي هي عبارة عن أبنية تحشر فيها المئات من الأقفاص الواحد فوق الآخر. وقد تحتوي سقيفة واحدة في المداجن التي تضم الدجاجات التي تبيض، على ما يقارب (70,000) طائرٍ

محبوسٍ داخل أقفاص. وتحشر الدجاجات كل أربع أو حتى ست دجاجات مع بعضها في أقفاص صغيرة مصنوعة من الأسلاك، وقريبة جداً من بعضها إلى درجة أنها لا تقدر على نشر أجنحتها. ولأنها تعمد إلى نقر بعضها فإن مناقيرها كثيراً ما تكون «مشذبة» في عملية مؤلمة تفقد فيها أطراف المناقير. ولأن مخالبها تعلق بين حين وآخر بين تروس الأسلاك في أسفل القفص، فهي تقلم بقطع نهايات الأصابع أحياناً وبحيث لا يمكنها أن تنمو ثانية.

عندما يبدأ إنتاج بيض دجاجات التفريخ بالتراجع، يتم حرمانهن من الطعام والماء لعدة أيام وتنعكس دورة النور والظلمة، مما يؤدي إلى تساقط إجباري للريش وإحداث صدمة بداخلها يفقدها ريشها كله، فتبدأ بتفريخ البيض من حولها ثانية بالرغم من أن ذلك لايستغرق أكثر من بضعة أسابيع. بعد ذلك تستخدم الطيور المنهكة والتي لا نفع فيها لصنع بودرة حساء الدجاج. وفي معامل البيض هذه تعتبر الفراخ من الذكور حديثة التفقيس عديمة الفائدة «منتجات ثانوية» وتُلقى فعلياً داخل أكياس من البلاستيك، حيث تختنق فيما يتكوم فوقها المزيد والمزيد من الأجساد الصغيرة. ثم يتم التخلص منها تماماً في حاويات القمامة. ويجري طحن بعض الفراخ لتحويلها إلى علف حيواني، ويحصل ذلك أحياناً وهي ماتزال على قيد الحياة.

وسواء أكان ديكاً مشوياً أم مخصياً فقد تم تسمينه بغرض الأكل، فإن الطيور التي تشتريها من أجل شيها، أو سلقها، والتي تشتري أفخاذها وأجنحتها وقطعاً من أجزائها العلوية داخل علب نظيفة أنيقة، تكون مكتظة داخل سقائف صغيرة حيث تحتك ببعضها وتمشي فوق بعضها، وتدوس على تلك التي تموت منها.

تعد الحياة القصيرة للديك الرومي الذي يحقن بهورمون النمو حتى لا يعود قادراً على الوقوف بالفعل أو التكاثر بشكل طبيعي، تعد من المفارقات الغريبة البشعة. ولكن عندما تجتمع الأُسر حول مائدة الطعام للاحتفال بعيد الشكر أو الميلاد، فكم من أفرادها مستعد للتفكير ولو مرة بأنه ممتن للديك الذي وفرت

معاناته، طعام العيد لهم؟ وفيما تحوم روح الديك هناك على أي حال، فإنها ستنضم بالتأكيد إلى الاحتفال بعيد الشكر، غير أنها ستقدم شكرها للموت الذي أنهى حياة العذاب التي عاشتها.

يربى البط والإوز من أجل لحومه وضمن الأوضاع المكتظة في المعمل كما هو الحال بالنسبة للدجاج. أما الطريقة المتبعة في تغذيتها بشكل قسري حتى تتوسع أكبادها إلى الحجم الذي يجعل من إنتاج لحم الكبد الدسم مضموناً اقتصادياً، فهي العذاب بحد ذاته. فعمال المزارع يعمدون إلى دفع أنبوب معدني داخل حنجرة البطة أو الإوزة بينما تقوم مضخة بقذف كميات كبيرة من غذاء الذرة مباشرة داخل جهاز المري للحيوان. وخلال أسابيع فقط يزداد وزن البط والإوز بشكل مبالغ فيه وتتضخم أكباده لتبلغ عشرة أضعاف حجمها الطبيعي. والبط والإوز الذي يربى من أجل لحم كبده الدسم بالكاد يستطيع التنفس عدا عن قدرته على الوقوف أو المشي. والكثير منه يعاني من تمزق في الحنجرة ومن الطعام المضغوط داخل المري، ومن نمو الجراثيم والفطور داخل أجهزته الهضمية العليا.

### قصص هروب الحيوانات وإنقاذها

إنه لمما يبعث على الدهشة أن تتمكن بعض الحيوانات من الهروب من عذابها داخل المسلخ. وعندما يحدث ذلك فإنها كثيراً ما تحتل عناوين الأخبار.

تمكنت البقرة سينسي فريدوم، ووزنها (1,050) باوندا من الإفلات من مكان احتجازها لمدة أسبوعين بعدما قفزت من فوق سياج ارتفاعه ستة أقدام لتهرب من مسلخ كامب واشنطن، في ولاية أوهايو. وقد فشلت أول محاولة لتخديرها بعدها أفلح العمال في ربطها لكنها نفرت مذعورة محدثة حفرة في أحد الجدران وفرت إلى فناء خلفي وهي تجر وراءها اثنين من الرجال. وكان لابد من تخديرها ثانية قبل أن يتم تحميلها على شاحنة ونقلها إلى إحدى المحميات. هذه القصة شدت أنظار الناس ـ فحتى محافظ سينسناتي قرر أن يقدم لها مفتاح المدينة! وهي تعيش اليوم بسلام مع بقرة أخرى هاربة تدعى كويني والتي نجحت في الفرار من المسلخ في

مدينة كوينز، بولاية نيويورك. وأصبحت الاثنتان صديقتين على الفور وهما مولعتان بتنظيف إحداهما الأخرى والوقوف معاً لالتقاط الصور.

كانت تلك أخبار سارة في المملكة المتحدة عندما سقط ديك رومي كان مقرراً له أن يكون على مائدة عيد الميلاد، سقط عن الشاحنة التي كانت تقله إلى المسلخ. ويبدو أنه تمكن من التنقل لمسافة ثلاثة أميال وتوقف أخيراً وياللعجب، عند بوابة محمية للطيور! (في حال لو كان أحد الديوك السمينة جداً والتي تغذت بالهورمونات في مزرعة أميركية فلربما كان على الأرجح قد كابد فقط كي يتمكن من السير بضعة أمتار ـ وربما كان على الأغلب قد هشم عظامه عندما سقط).

على أي حال، وباستثناء كون مظهره قد بدا غير مرتب قليلاً، فقد كان في وضع جيد. ولم تطالب به أي مزرعة للديوك الرومية وعليه فقد قبل عن طريق محمية للحيوان. وجرت تغذيته بالذرة وحبوب أخرى وأطلق عليه اسم تيرينس. وفي البداية وضعوه مع الدجاجات الداجنة لكنه أعجب ببومة لها حلقات حول عينها تدعى بنيز، وبالتالي كان ذلك هو المكان الذي سمح له بالعيش فيه.

## لحم البقر: القصة المخفية

تُعد حياة بقرة تربى في مزرعة لإنتاج لحوم الأبقار حياة تعيسة على نحو متساوٍ. فالكثيرات منهن تحتجزن في فناءات ـ تحشر داخل حظائر صغيرة مسيجة، تغوص في الأوحال والبراز أو تتلظى بقسوة تحت أشعة الشمس، وغالباً دون أي رحمة من الطقس سواء أكان حاراً أم بارداً. أما الأبقار التي تربى على العشب، والتي تمنح حرية التجول في المزارع الكبيرة المخصصة لتربية المواشي، فتستمتع على الغالب ببعض الفترات من حياتها على الأقل. ولكن تأتي بعد ذلك عملية السوق والدمغ الوحشي بالحديد المتوهج، والإخصاء. لقد قرأت توصيفات حية عن هذه الأمور إلى حد أنني كنت قادرة على أن أشعر بالخوف والألم ـ وأشم ـ رائحة الشعر واللحم المحترق. ثم تتلو ذلك، عملية الذبح للجميع.

تُدفع الأبقار عادة داخل شاحنات أو داخل عربات السكك الحديدية المخصصة لنقل المواشي. وقد تستغرق رحلاتها إلى المسالخ أياماً تهمل فيها تماماً، مع أن الكثير من الدول أصدرت قرارات إلزامية تقضي بتقديم الطعام والماء لها في أوقات محددة. وتداس البقرة التي تسقط حتى الموت على الأرجح. وإن لم تمت فإنها ستتُخس وتُضرب، ولن تكون قادرة بعدها على السير فيتم سحبها رغم ما تعانيه من آلام نتيجة كسر قائمتها. ثم تبدأ عملية القتل. لن أصف ذلك هنا. وإذا كان أحد ما يريد أن يعرف الحقيقة البشعة، وعدد الأبقار اللواتي ينجحن في الإفلات من الصدمة الكهربائية (الإنسانية) والسير بكامل وعيهن عبر خطوط التجميع حيث تعلق الحيوانات استعداداً لذبحها، فإن كل ذلك مذكور في كتاب «الوصايا العشر». ألا يوجد تشريع يعتبر مثل هذه القسوة خروجاً على القانون؟ طبعاً هناك ـ إنه يقضي بجعل كل بقرة فاقدة الإحساس قبل سلخها وتقطيع أعضائها، غير أنه في عالم تجارة الأعمال الزراعية اليوم كل ثانية تمثل مبالغ خاسرة أو رابحة. ولا يسمح للمفتشين عموماً بدخول المناطق التي يتمكنون فيها من مشاهدة خرق القانون. ويتضمن عملهم في معظمه فحص الحيوانات الميتة الظاهرة للعيان من أجل التحقق من التلوث بالبراز المخالف للقانون. وهكذا فإن القوانين الإنسانية نادراً ماتنفذ. وقد تم توثيق كل هذا خلال عملية سرية جرت في أحد أكبر مسالخ الحيوان في الولايات المتحدة في ولاية واشنطن وعلى يد غايل ايسنيتز وذلك في كتابها: «المسلخ: القصة المروعة للجشع، والإهمال، والمعاملة اللاإنسانية داخل صناعة اللحوم في الولايات المتحدة». إن تربية ونقل وقتل العديد من الحيوانات ومنها الخراف هو أمر مروع بالمقدار ذاته، وقد كانت خطوط التجميع حيث يعلق الدجاج، والديوك، والإوز من أجل ذبحها بالقدر نفسه من الوحشية.

## نظام التجميع الخاص بهنري فورد

إنه أكثر من مجرد اهتمام تاريخي أن نتذكر أن هنري فورد أسس نظام تجميع سياراته بعد زيارته إلى مسلخ شيكاغو في بداية التسعينيات وكان قد راقب الحيوانات المعلقة، والأرجل المقيدة، والرؤوس المدلاة إلى الأسفل والموضوعة على عربة نقل متحركة فيما كانت تتنقل من عامل إلى آخر، وكل واحد منهم يقوم بخطوة أثناء سير عملية الذبح. رأى فورد مباشرة أن ذلك يشكل نموذجاً ممتازاً لصناعة السيارات، باستحداث أسلوب للتجميع من أجل تركيب أجزاء السيارات. وقد قدم نظام التجميع، الأكثر من فعال، للعمال، فصلاً حديث الاكتشاف في مجمل العمل القذر الخاص بذبح الحيوانات. فقد كانت الحيوانات تختزل لتصبح منتجات للمعمل وكان بإمكان العمال الفاقدي الإحساس أن يعتبروا أنفسهم عمال نظام أكثر منهم قتلة حيوانات. وقد استخدم النازيون في مابعد نفس نموذج المسلخ لارتكاب جرائمهم الجماعية في معسكرات الاعتقال. وأصبح نموذج معمل خط التجميع أسلوباً للجنود النازين لفصل أنفسهم عن عملية القتل ـ إذ ينظرون إلى الضحايا على أنهم حيوانات ويعتبرون أنفسهم عمالاً. ولم يطور هنري فورد وهو معروف بمعاداته للسامية بشدة، لم يطور فقط طريقة نظام التجميع التي استخدمت في الهولوكست في مابعد، لكنه أبدى إعجابه علناً بمدى فعالية النازيين. فرد عليه هتلر بالمثل. واعتبر الزعيم الألماني أن «هنريش فورد» رفيق سلاح واحتفظ بصورة مجسمة بالحجم الطبيعي لقطب السيارات، في مكتبه في مقر قيادة الحزب النازي.

هناك أشخاص يأكلون لحم الغزال، لاعتقادهم أنه أمر أخلاقي أن تأكل لحم حيوان عاش في البراري ومات ميتة نظيفة ومشرفة على يد صياد. صحيح. لكننا نجد اليوم أن الغزلان وغيرها من الحيوانات المتوحشة تربى من أجل لحومها، وتحشر داخل حظائر صغيرة وتخضع للنمط نفسه من أوضاع مزارع الإنتاج الحيواني المماثلة لتلك التي يتوجب على حيوانات المزارع التقليدية بشكل

أكبر تحملها. والناس يأكلون السمك لاعتقادهم بأنهم يأكلون لحوم مخلوقات عاشت بحرية في المحيطات أو الأنهار، مخلوقات دمها بارد، عديمة الإحساس لا تشعر بألم. لكن السمك كثيراً ما يربى ، ومن المؤكد أنه يشعر بالألم. غير أننا سنتحدث عما يجري داخل المياه في فصل آخر.

## أبقار ليست راضية تماماً

ماذا عن منتجات الحليب؟ ماذا يحدث داخل صناعة الألبان؟ على الرغم من أن أحداً لا يعلم بالتأكيد، فإنه من المعتقد أن الأبقار كان يجري تأهيلها في جنوب شرق أوروبا قبل ما يقارب (8,5000) سنة. ومنذ ذلك الوقت أصبحت منتجات الألبان، والحليب، والزبدة، والأجبان، واللبن السلعة المطلوبة باستمرار في غذاء الملايين من الأشخاص حول العالم.

وإلى أن جاء الوقت الذي أصبحت فيه الأبقار الحلوب تُعطى الهورمونات لزيادة إفرازها من الحليب بشكل اصطناعي، فقد كانت حتى أكثر السلالات إنتاجاً ذات ضروع بحجم معقول ولم يسبب لها ذلك أي ثقل أو أي ألم عند حلبها. وفي تلك الأيام كانت العجول غالباً ما يسمح لها بالبقاء مع أمهاتها لعدة أسابيع: وكان العجل يفطم بالتدريج فيزداد حليب أمه، وهكذا كان هناك انتقال لطيف بالنسبة للبقرة من مرحلة إرضاع عجلها إلى مرحلة تقديم الحليب للبشر. وكانت العجول المفطومة حتى لو كان قدرها أن تتحول إلى لحم العجل، كثيراً ما تعطى فسحة لتمرح وتثب إلى أن يتم وضع حد لحياتها القصيرة.

كم هي مختلفة حياة البقرة الحلوب وعجلها في مزارع الإنتاج الحيواني الحديثة والمكتظة في أوروبا وشمال أميركا وغيرها من الدول «التقدمية». وفي الكثير من مثل هذه «المزارع» لا تشعر الأبقار اللواتي انتزعن من أمهاتهن بعد أيام فقط من ولادتهن، لا تشعرن أبداً بالعشب تحت أقدامهن. وهن يقضين حياتهن كلها مقيدات في صفوف طويلة عند مرابط ضيقة. فهي تقف على الإسمنت

وتحلب بواسطة آلات الشفط. وكثيراً ما تغذى بهورمونات نمو بقرية حتى يزداد إنتاج الحليب بشكل دراماتيكي ـ بعض الأبقار تنتج ما وزنه مئة باوند من الحليب يومياً ـ وبالتالي حتى وإن كانت ذوات الإنتاج الزائد تلك محظوظات بما فيه الكفاية لقضاء وقت في الحقول، فإنها تنمو لها ضروع ضخمة متورمة وغير مريحة تعيق حركتها أثناء سيرها إلى عملية الحلب المستميتة. وكثيراً ما تلتهب الضروع والحلمات، ولكن ليس هناك على الأغلب من وقت في هذه المزارع الإنتاجية للتعامل مع مثل هذه الأوجاع الثانوية (رغم كونها مؤلمة). ويفترض بالجرعة الوقائية من المضادات الحيوية المضافة إلى غذاء الحيوان، يفترض بها أن تتعامل مع أمور كهذه.

تُرغم أبقار مزارع الإنتاج الحيواني عادة على ولادة عجل كل عام. ومثلها مثل الكائنات البشرية تماماً، فإن دورة الحمل لدى الأبقار تستغرق تسعة شهور. وهكذا يكون هذا التوليد السنوي المقرر شاقاً جداً على الأمهات. كما أنها تلقح صناعياً فيما تكون لا تزال تفرز الحليب من ولاداتها السابقة. وهكذا تنتج أجسامها الحليب خلال سبعة شهور من الشهور التسعة للحمل. ويؤدي هورمون النمو البقري الذي يفرض هذا الإنتاج الكثيف من الحليب، يؤدي أيضاً إلى تشوهات خلقية في العجول.

## لحم العجل: ما سمعته صحيح

ولكن حتى وإن سارت كل الامور على مايرام في عملية استيلاد العجول، فإن كلاً من الأم والوليد يعانيان عندما يتم تفريقهما عن بعضهما البعض بقسوة. كنت غالباً ما أسمع النداء الأليم لكل من البقرة والعجل. وقد يستمر هذا لعدة أيام إن كان باستطاعتهما أن يسمعا بعضهما البعض. إذ يكون العجل متعطشاً للحليب وإلى حب أمه، وهي تعيش في عذاب لأنها لا تستطيع إرضاع طفلها الغالي! وتربى الإناث من العجول للاستعاضة بها عن الأبقار المتهالكة في القطيع الحلوب، ويربى الكثير من ذكور العجول في فناءات مكتظة من أجل أن يتحولوا إلى «لحم العجل»

أو يُقتل «المحظوظون منهم» وعمرهم مجرد عدة أيام ليباعوا لحوماً ذات نوعية متدنية للمنتجات الغذائية الرخيصة مثل الأطعمة المجمدة التي تؤكل أثناء مشاهدة التلفزيون مساءً. ويُستخدم بعض منه طبعاً، في تصنيع لحم العجل.

الكثير من الناس مطلعون اليوم، والفضل في ذلك يعود إلى الناشطين في مجال حقوق الحيوان، على موضوع «صناديق لحم العجل» المكشوفة التي يبلغ عرضها أربعة وعشرين بوصة والتي تحتجز فيها العجول المقدر لها أن تصبح لحوم عجل «بيضاء». إنها لا تستطيع الاستلقاء براحة ولا تستطيع أن تتلفت أيضاً. ومن أجل إضفاء ذلك اللون الأبيض على لحمها الذي يحبه الأكول الشره، يتم على مدى الأسابيع القليلة الأخيرة من حياتها المثيرة للشفقة إطعامها غذاء خالياً من الحديد. وتستميت العجول بشدة للحصول على هذا المعدن إلى درجة أنها تحاول أن تشرب البول الخاص بها. في النهاية، وبعد ستة عشر إلى ثمانية عشر أسبوعاً من العذاب، تُجر العجول من أمكنة احتجازها وتكون قوائمها ضعيفة جداً حتى إنها لا تكاد تقوى على السير. والواقع أنه كثيراً ما تتكسر قوائمها وهي في طريقها إلى الذبح.

## ولادة فرانكن فودز

مع تمسكهم بالتفكير في الحيوان بوصفه نتاجاً لنظام تجميع، يشغل العلماء أنفسهم دون طائل، ويجرون تجارب على الحمض النووي للحيوانات محاولين إيجاد أعداد منها تكبر على نحو أسرع وتنتج أرباحاً أسرع. ومن الاختراعات الحديثة لتغيير المورثات، ثور اللحم البقري الذي يفوق الحجم الطبيعي والمعروف باسم «البلجيكي الأزرق». هذه المخلوقات الضخمة تملك ما نسبته عشرين بالمئة أكثر من نسيج العضلات (مما يعني أن فيها كمية أكبر للبيع من لحم العجل) وتزن ثلاثة أرباع الطن. هذه الثيران المسكينة لاتملك الكثافة العظيمة اللازمة لإسناد كتل لحمها الخاص وبالكاد تتمكن من الوقوف أو السير. وهي ليست قادرة على التناسل ـ ولهذا يتوجب تلقيح البقرات صناعياً وتتم الولادة بعملية

قيصرية. وقد طور العلماء أيضاً حيوانات بمورثات مركبة سريعة النمو؛ قوائمها ضعيفة بالغة الصغر بالمقارنة مع بقية جسدها المنتفخ، ولذا فإن مفاصلها تؤلمها وتجد صعوبة في الحركة. فالدجاج المغير وراثياً والذي ينمو بسرعة معرض للإصابة بآفات قلبية وعظامه ضعيفة إلى حد أنها تتكسر مع الاحتكاك. والديوك المركبة وراثياً، بدينة إلى درجة أنها لاتستطيع أن تتزاوج جسدياً، ولابد من تلقيحها صناعياً. ومما يثير الفزع أن هذه الحيوانات السيئة الطالع والمشوهة لابد من تعريفها على أنها مهندسة وراثياً لدى بيعها في محلات السوبر ماركت أو مطاعم الولايات المتحدة. والطريقة الوحيدة للتأكد من أنك لاتدعم هذه الصناعة هي أن تشتري منتجات حيوانية عضوية مضمونة.

## احترام العقد القديم

إنه لمن الضروري إدراك أن الأنظمة الاقتصادية هي التي تهدد الصالح العام لحيوانات المزارع ـ وصحة البشر الذين يأكلونها. وفي أثناء ذلك يظل مستقبل مزرعة الأُسرة المحدودة الإنتاج متأرجحاً بالفعل، بينما يستسلم المزيد والمزيد من المزارعين غير القادرين على التنافس مع الممارسات اللاروحية، والآلية، واللاإنسانية للشركات الضخمة المتعددة الجنسيات. فهذه الشركات العملاقة تسعى للسيطرة على إنتاج الدواجن والمواشي على المستوى العالمي (تماماً مثلما تحاول السيطرة أيضاً على إنتاج البذور والمحاصيل على النحو الذي نوقش في الفصل الرابع). وهكذا تنقرض الوسائل التقليدية القديمة في أنحاء العالم وينهار العقد القديم الموقع بين الناس والحيوانات الذين يقدمون لهم الخدمات.

من المشجع في ضوء ذلك كله معرفة أنه ما يزال هناك مزارعون يهتمون بمواشيهم ودواجنهم، ويعاملونهم باحترام، وبذلك يوفون بالعهد القديم. ويقيم المزارع البريطاني موتزام علاقة رائعة مع ديزي، إحدى البقرات المدرة للحليب.... فهي تذهب إليه عندما يناديها وتقود باقي القطيع خلفها. وفي أحد الأيام هوجم موتزام بوحشية من قبل ثور كان قد وصل حديثاً وأسقطه أرضاً، بحيث نطحه

بقرنيه وداس على ظهره وأكتافه. أغمي على موتزام من الألم والصدمة، وعندما استعاد وعيه شاهد ديزي ، والتي لابد وأنها سمعت صرخاته، وقد وصلت مع باقي القطيع. كانوا يتحلقون حوله على شكل دائرة ونجحوا بطريقة ما في إبعاد الثور الهائج الذي حاول مراراً الوصول إلى الرجل الجريح. وحافظ القطيع على دائرة الحماية التي أقامها حول المزارع بينما كان يجر نفسه عائداً إلى المنزل. وقد سُئل لاحقاً لماذا ظن أن البقر قامت بحمايته؟!. فقال: «حسناً، لقد عاملتها بتعقل، ولقد اعتنت بي بالمقابل. الناس يقولون: إنني لطيف جداً ولكنني أعتقد أنك تحصد ما تزرع». إن قصصاً كهذه هي التي تساعدنا على فهم أهمية وقف كل أشكال القسوة التي نلحقها بهذه الحيوانات اللطيفة.

## حياة جيدة، بقرة جيدة

سمعت مؤخراً هذه القصة المؤثرة من هولندا. وهي تعينني على تذكر الصورة التي يمكن أن تكون عليها حياة بقرة الألبان وكيف يجب أن تكون.

«لا تعلم عائلة سبرويت من بلدة زيغفيلد في هولندا ما إذا كانت قد أحبت بقرة الألبان تريبل لأنها كانت لطيفة جداً، أم أنها كانت لطيفة لأننا كثيراً ما كنا نحضنها؟ على أي حال كانت تريبل بقرة ألبان مميزة جداً. لقد استمتعت فعلاً بالاهتمام بها وكانت تحب أن يتم التقاط صور لها. أنتجت ما يقارب من 125 كيلو غراماً (275 باوناً) من الحليب. ولكن الأكثر تميزاً فيها كان أنها احتفلت بعيد ميلادها العشرين في آذار 2005.

إن بلوغ بقرة ألبان سن العشرين أمر لا مثيل له. ففيما تعيش بقرة غير حلوب حياة طبيعية تمتد حتى خمسة وعشرين عاماً، فإن الأبقار المدرة للحليب لأغراض تجارية والتي تحيا حياة عادية، تعيش فقط أربعة أو خمسة أعوام. وحتى في مزرعة عائلة سبرويت، فإن أكبر بقرة حلوب يبلغ عمرها عشر سنوات فقط. ويعتني ترويوس وثيو سبرويت بقطيعهما من الأبقار الحلوب، بحب واهتمام، ويعاملان حيواناتهما باحترام

وكأنها بشر. وقد طورا مجموعة من الترتيبات للحيلولة دون حدوث مكروه لبقراتهما الحلوب المحبوبة. فكل شيء يبدأ بالتربية: إن هدفهما من التربية هو بقرة معافاة تنتج الحليب بشكل متواصل ولفترة طويلة من الزمن بدلاً من إنتاج أعلى كمية ممكنة.

ووفقاً لما يقوله ترويوس «فإن البقرة التي يتوجب عليها إنتاج حليب على هذا المستوى المرتفع العالي ـ كرياضي بارز ـ مثل هذه البقرة سوف تشعر بالإنهاك في سن مبكر عموماً. أيضاً يتم اختيار الثيران بطريقة تؤدي إلى ولادة عجول لا تزن كثيراً مما يقلل من المخاطر خلال فترة إنتاج العجول. وتؤمّن أسرة المزارع أيضاً مكاناً لإقامة أعشاش طيور السنونو. لماذا؟ لأن السنونو تلتقط الذباب الذي ربما ينقل الإصابة بالتهاب الضروع. كما تفرش الرمل على الأرض الزلقة لمنع تزحلق الأبقار وإصابتها بجروح. ومنذ بدء فصل الربيع حتى حلول الخريف ترعى الأبقار خارجاً، وتحصل فقط على كمية محدودة من الغذاء المركز (الأبقار على كل حال، هي حيوانات رعي بالفطرة). لقد أكلت البقرة تريپل فعلياً كل شيء نباتي. وكانت فاكهة التفاح والفريز المفضلة لديها. وبسبب النظام الغذائي الصحي للقطيع وطريقة العيش، تنتج كل فصيلة البقر حليباً ذا نوعية عالية الجودة. كذلك فإنه ليس لروثها تلك الرائحة الكريهة التي نعرفها في أنظمة التكثيف العالي للألبان. والجودة.

أنجبت تريپيل، في سن الخامسة عشرة، عجلها الأخير. وبعد ذلك بعامين خُصص لها علفاً جافاً، ولكنها ومع رعيها للعشب ضمن القطيع مع باقي زميلاتها من البقرات الحلوب، أصبحت بدينة جداً، وهكذا حصلت على حقل عشبي صغير لتستمتع فيه بسنوات التقاعد الأخيرة من حياتها.